مطالعات تطبیقی اندیشه دینی
سال اوّل، شماره اوّل، پاییز و زمستان ۱۴۰۰

Comparative Studies of Religious Thought
Year 1,No.1,Autumn and Winter 2021-2022

# دراسة نقدية لموقف المغراوي من آية التطهير

**سيد هاشم موسوي**[۱]

**تاريخ دريافت:** ۱۴۰۰/۰۷/۲۱
**تاريخ پذيرش:** ۱۴۰۰/۰۹/۱۲

## المخلّص

تعتبر آية التطهير من الآيات التي تدل على عصمة أهل البيت عليهم السلام وقد فسّرها المغراوي خلاف مذهب الشيعة، من أنّ الإرادة تشريعية لا تكوينية، ومعنى الرّجس هو الكفر، وبيان معنى «أهل البيت» بأنهم النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وأزواجه. سلك الباحث في منهج كتابته للمقالة المنهج الوصفي والتحليلي، وكان الهدف منها تسليط الضوء على آية التطهير من تفسير ابوسهل محمد بن عبدالرحمن المغراوي الموسوم بـ«التَّدبُّرُ والبيان في تفسير بصحيح السنن»، وجعل نساء النبي معهم وتبعيدها عن مقام عصمتهم صلوات الله عليهم، فكانت أهمية هذه المقالة هو الدفاع والكفاح وإثبات ما ثبت عند جمهور المسلمين في ما ورد في هذه الآية في حقهم من إختصاصها بأهل الكساء الخسمة دون غيرهم، وإثبات عصمتهم.

**الكلمات الدليلية:** الإرادة، أهل البيت، آية التطهير، التّدبر والبيان، العصمة، المغراوي.

---

۱. السطح الثالث المخصصة في المذاهب الإسلامية، المركز التخصصي للأئمة الأطهار عليهم السلام
sydhashmmwswy@gmail.com

## التمهید

إنطلاقا من آية التطهير﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ۳۳) وهي من الآيات التي قد تعرّض إليها أغلب المفسرون والمحدثون وأصبحت محل نزاع وركاب كلّ باحث ومحقق وأصبحت من أهم الآيات التي يبحث فيها لإثبات معتقد من أصول عقائد المذهب الامامي الإثنى عشري، وهي عصمة من خوطب بها وفقاً لروايات العامة والخاصة بأنها نزلت في واقعة معيّنة تخصّ ثلّة خاصّة من أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد كبَحَت المتعصّبين بلجام عصبيتهم، وأعيتهم عن التنكّر لأفضلية أهل البيت عليهم السلام وأحقيتهم وكمالهم، ومن هولاء ابوسهل محمد بن عبدالرحمن المغراوي فلقد وقف عندها في تفسيره الموسوم بـ «التّدبرُ والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن»، وسوف يذكر الباحث ما ذهب إليه المغراوي، ثم يرد عليه بما إتفق عليه أعلام المسلمين من كلا المدرستين.

### ۱. الدراسات السابقة

بعد البحث والتنقيب في المصادر والمكتبات وشبكات التواصل الإكترونيكية، قد عثر الباحث على أن أكثر أعلام المسلمين قد تعرضّوا في تفاسيرهم لهذه الآية منهم ابن أبي حاتم (۱۴۱۷ق: ۳۱۳۱/۷) والحاكم الحسكاني (۱۳۹۳ق: ۱۰) وابن جرير الطبري (۱۴۲۱ق، ۱۰۱/۱۹-۱۰۷) والآلوسي (۱۴۲۰ق: ۲۲/ ۱۴-۱۵) و غيرهم من أعلام مدرسة الخلفاء، وايضاً من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام قد وقف عندها وقوف عرض ودراسة تحليلية علمية كالشيخ محمد فاضل النكراني في كتابه: آية التطهيرفي رؤية مبتكرة، والسيد علي الحسيني الميلاني في كتيب له: سلسلة الندوات العقائدية.

ومن الذين وقف عندها المغراوي في تفسيره الموسوم بـ «التّدبّر والبيان في تفسيرالقران بصحيح السّنن» ولم يعثر الباحث على من تعرّض لنقده وعلى هذا الأساس يعتبر هذا التحقيق أول من طرق باب البحث والنقد للمغراوي، ولكن يوجد ردّ في مقالة كتبت بقلم الأستاذ محمد علي مهدي راد على كتابه الآخر «المفسرون بين التأويل والاثبات في آيات الصفات» باللغة الفارسية المسماة «نگاهی به کتاب المفسرون بين

التأويل والإثبات في آيات الصفات». وكان وجه التشابه بين ما كتبه الباحث في هذه المقالة، هو الرد على وجهة نظر المغراوي من تفسير القرآن الكريم، والإختلاف بين هذا الردّ والردّ الذي في المقالة الفارسية هو من حيث التجذير والتأصيل والشمولية هناك فرق شاسع.

## ٢. التعريف بالمغراوى وتفسيره

إن محمد بن عبد الرحمن المغراوي هو من جهابذة علماء المغرب في مراكش، وكانت له رحلات كثيرة منها رحل لإتمام الدراسة إلى المدينة النبوية فالتحق بالجامعة الإسلامية فأتم بها التعليم الثانوي ثم الجامع، ثم حصل على شهادة الدكتوراة، وله باعٌ في التأليف و التصنيف في السيرة والأدب والحديث والتفسير، ومن مؤلفاته في التفسير هذا التفسير الموسوم بـ«التّدبُّر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن» وقد إشتهر في الأوساط العلمية عند مدرسة العامة،كما في المغرب خاصة ومنها المراكش و عند السلفية على العموم، وكما نسمعه اليوم من لسان مثل الشيخ سمير عمر المراكشي بأن هذا التفسير يعتبر من أشمل وأكمل التفاسير المعاصرة من حيث السعة والشمولية، والمؤلف في هذا التفسير قد تناول الآيات شرحاً وتبياناً وتشقيقاً وتفسيراً وإستخرج منها ما هو عقدي وفقهي وخُلقي، وأصّل لذلك أصولاً ومباني وقواعد.

حيث أن القارء ينبهر لسعة إطلاع المفسر و طول باعه في الفقه والتفسير والسيرة والإصول والرجال، ومذهبه سلفي هو من أتباع ابن تيمية.

## ٣. موقف المغراوى من آية التطهير

يجد الباحث أنّه قد غفل المغراوي أو تعمّد بعدم ذكر أهل البيت عليهم السلام، ومقاماتهم عليهم السلام،عند تفسيره للآيات المرتبطة بهم عليهم السلام؛ وتحقيق لهذا البيان وتوضيح لهذه الحقيقة مع أن مقام أهل البيت عليهم السلام ، في القرآن والسنة أشهر من أن يخفى وأكبر من أن ينسى، وهم عدل القرآن وورثة سيد الأكوان ومن تلك الآيات آية التطهير ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ (الأحزاب: ٣٣) التي وقف عندها المغراوي، فسوف نجعلها تحت مجهر التحقيق والعرض بنظر المغراوي ونقده.

### ۳ـ۱. معنی الإرادة فی«یُرِیدُ اللَّهُ»

نقل المغراوي لبيان الإرادة في تفسيره قول إبن تيمية الحراني حيث قال: «إن الإرادة في هذه الآية متضمنة لمحبة الله لذلك المراد ورضاه به، وأنه شرّعها للمؤمنين وأمرهم بها، ليس في ذلك أنه خلق هذا المراد، ولا أنه قضاه وقدّره، ولا أنه يكون لا محالة، ودليل على ذلك قول النبي في قوله «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» فطلب من الله لهم إذهاب الرجس والتطهير فلو كانت الآية تتضمّن إخبار الله بأنه قد أذهب عنهم الرجس وطهّرهم، لم يحتج إلى الطلب والدعاء» (المغراوی، ۱۴۳۵ق: ۱۷۶/۲۷)

### ۳-۲. معنی «الرِّجْسَ»

لفظ الرجس أصله القذر، ويراد به الشرك؛ كقوله ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ (الحج: ۳۰)، ويراد به الخبائث المحرمة كالمطعومات والمشروبات كقوله: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا﴾ (الأنعام: ۱۴۵)، وغيرها من الآيات الواردة في هذا الباب وسياق الآية يقتضي أنه يريد ليذهب عنهم الخبث كالفواحش وغيرها من الذنوب ولكن ليس في ذلك ما يدلّ على العصمة من الخطأ. (لمصدر نفسه: ۱۷۶/۲۷).

### ۳ـ۳. معنی «أَهْلَ الْبَيْتِ»، والقاء نظرية الإشتراک

قال المغراوي بأن هذه الآية وردت في أزواج النبيﷺ علي وفاطمة والحسن والحسينؑ كما صرّح بذلك القرطبي في تفسيره (۱۴۲۱ق: ۱۸۳/۱۴) وأبو المظفر السمعاني في تفسيره (۱۴۱۸ق: ۲۸۱/۴) لأمور منها:

**ألف**: كون قرينة السياق صريحة في دخولهم، لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ﴾ (الأحزاب: ۲۸)، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ثم قال بعده: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾. (الأحزاب: ۳۴)

ب: إجماع جمهور علماء الأصول على أن سبب النزول قطيعة الدخول فلا يصحّ إخراجها بمخصّص.

ج: أنه عبّر في الآية بضمير الذكور في «عَنْكُمُ» و«وَيُطَهِّرَكُمْ»، مع أن ما قبلها وما بعدها ضمائر مؤنثة وخطاب لزوجات النبيﷺ، وفي هذا دليل لشمول الآية زوجات النبيﷺ وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين. (المغراوى، ١٤٣٥ق: ١٧٦/٢٧)

## ٤. تحليل و نقد على المغراوى

### ٤ـ١. مفهوم الإرادة

الإرادة لغة تأتي بمعانٍ متعددة منها: المشيئة (ابن منظور، ١٤١٤ق: ٢٤٨/٧؛ الطريحى، ١٣٧٥ش: ٧٥٢/٢)، يقال: أراد الشيء، شاءه (ابن منظور، ١٤١٤ق: ٣٦٦/٥)، ومعنى الإرادة في الإصطلاح العقدي صفة توجب ترجيح أحد طرفي ما يقع في دائرة القدرة (الشريف المرتضى، ١٣٨١ش: ٣٥٥)، إن لفظ الإرادة ومشتقّاتها من الألفاظ القرآنية الكثيرة الإستعمال، وهي أيضاً من الألفاظ الشايعة في المحاورات العرفية، وهي تنقسم إلى قسمين:

ألف) تكوينية، وهي: إرادة الشخص صدور الفعل عنه بنفسه، من دون تخلّل إرادة غيره في صدوره، كما في إرادة الله تعالى خلق العالم، وإيجاد الأرض والسماء، وكإرادتك أكلك وشربك وصلاتك وصيامك.

ب) تشريعية، وهي: إرادة الشخص صدور الفعل من غيره، بإرادته وإختياره، كما في إرادة الله تعالى صدور العبادات والواجبات من عباده، بإختيارهم وإرادتهم، لا مجرّد حصولها بأعضائهم، وصدورها بأبدانهم بدون تخلّل القصد منهم، وكما في إرادتك صدور الفعل من إبنك وخادمك بلا إجبار منك وإلجاء. (المشكينى، ١٤١٣ق: ٢٩)

وحينئذ يصبح الفارق الرئيسي بين هذين القسمين هوتخلّل الإرادة الإختيارية بين المريد وتحقّق الفعل المراد، فمتى كان بإمكان إرادة الطرف الآخر أن تحول بين الفعل ومريده، كانت تلك الإرادة من قسم الثاني ـ أعني التشريعية ـ وإلاّ فهي من القسم الأوّل أي التكوينية.

أما فيما يرتبط ببحثنا أن الإرادة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ هي من القسم الثاني ـ أعني التشريعية ـ كما هو عليه المغراوي، فيكون المعنى: «إنما شرّعنا لكم أهل البيت الأحكام لنذهب عنكم الرّجس ونطهّركم».

هذا التفسير الإرادة ينافي مع الحصر المستفاد من كلمة «إِنَّمَا»،كما هو عليه جمهور العلماء (السيوطی، ۱۴۱۶ق: ۲۲۲/۲) إذ من الواضح أنّ الغاية من تشريع الأحكام إذهاب الرّجس عن جميع المكلّفين لا عن خصوص أهل البيت عليهم السلام، ولا خصوصية لهم في تشريع الأحكام، وليست لهم أحكام مستقلّة عن أحكام بقيّة المكلّفين هذا اولاً.

**ثانياً**: إن حملها على الإرادة التشريعية يتنافى أيضاً مع إهتمام النبي صلى الله عليه وآله بأهل البيت عليهم السلام، كما ورد عن أنس بن مالك «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر، ويقول : الصلاة يا أهل البيت، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ (الترمذی، ۱۴۲۱ق: ۵ /۳۵۲) وتطبيق الآية عليهم بالخصوص كما نصّ على ذلك الآجري حيث قال: «هم الأربعة الذين حووا جميع الشرف وهم علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين.» (الآجری، ۱۴۲۰ق: ۲۲۰۰/۵)

**ثالثاً**: إن حملها على التشريعية يبعدها عن كونها منقبة للمخاطبين بها من أهل البيت عليهم السلام، لأنها إنشاء وطلب للتطهير وإذهاب الرجس من المخاطبين بها، وهذا خلاف ما أجمع عليه المفسرّون في فهم هذه الآية المباركة، من أنّها بصدد الإخبار عن منقبة وفضيلة لأهل البيت عليهم السلام (ابن أبی حاتم، ۱۴۱۷ق: ۳۱۳۱/۷-۳۱۳۳؛ الواحدی، ۱۴۱۱ق: ۳۶۸-۳۶۹؛ الشوكانی، ۱۴۳۱ق: ۳۶۷/۴-۳۶۹)، ولهذا نجد النزاع فيها قائماً على قدم وساق (الفخر الرازی، ۱۴۲۳ق: ۲۰۹/۲۵) وهذا خير شاهد على أنّ الآية ليست بصدد الإنشاء والطلب؛ بل هي إخبار عن أمر خارجي وهذا لا ينسجم إلا مع الإرادة التكوينية.

**إن قلت**: ظنّ بعض (القاسمی، ۱۴۱۸ق: ۷۴/۸) أن القول بالإرادة التكوينية مسوق للجبر من صدور وعدم صدور الفعل من إهل البيت عليهم السلام، فلا فضل ولا فخر لهم.

**قلت نقضاً**: إن تعلّق إرادة الله سبحانه وتعالى بأهل البيت عليهم السلام هي سنخ إرادة التي متعلّقة بألانبياء بردعهم من الذنوب والمعاصي على سبيل المثال كيوسف ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (یوسف: ۲۴)، نقل عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام لقد همّت به، و لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت، لكنّه كان معصوما و المعصوم لا يهمّ بذنب و لا يأتيه»

(الهوزى، ١٤١٥ق: ٤٢١/٢)، بل السيّدة مريم أن الله عصمها من كلّ ذنب ومعصية كما ورد في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٤٢)، ولم يقل أحد أنّهم مجبورون على الفعل وتركه.

**وأماّ حلّاً، أولاً:** لا ملازمة بين كون الإرادة تكوينية وبين الجبر؛ فإن هذا ناشئ عن عدم فهم معنى كيفة طهارتهم التي هي ناشئة عن العلم، وغرس العلم في نفس العالم لا يوجب جبره على الإلتزام بعلمه، وهذا ما صرح به آية الله المنير الخباز: «فهذا نظير أن الله عز وجل غرس في قلب النبي علم القرآن حيث قال ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ (الشعراء: ١٩٣،١٩٤) فهل معنى ذلك أن النبيﷺ مجبور على العمل بهذه المعلومات القرآنية التي غُرست في قلبه؟! وهل معنى ذلك أن إرادة نزول القرآن على قلب النبيﷺ كانت إرادة تشريعية؟! بل كانت إرادة غرس علم القرآن في قلب النبي إرادة تكوينية، ولم يترتب عليها الجبر؛ لأن متعلق هذه الإرادة هو العلم، وليس متعلقها هو العمل، ففرق بين أن تتعلق الإرادة بالعمل وبين أن تتعلق بالعلم» (حول آية التطهير، ٢٠١٤م: ٠٣/٢٢) فمعنى الإرادة التكوينية أنه سبحانه وتعالى غرس في قلوب هؤلاء الصفوة علماً يقينياً بثمرات الطاعة ومفاسد المعصية، فأصبحوا يعلمون بهما كما يعلمون عدد أصابعهم الخمسة، فمنشأ عصمتهم علمٌ يقيني بدرجة حق اليقين الذي إذا حصل للإنسان إذا انصرفت نفسه بشكل إختياري عن مداولة المعصية، وإنصرفت نفسه بشكل إرادي إلى ممارسة الطاعة، وهذا نظير أن يعلم الإنسان علماً حسيّاً بقذارة البول وقذارة المني فينصرف عن شربهما باختياره، كما أن علم الإنسان علماً بديهياً واضحاً بلذة التفاح مثلاً لا يجبره على أكل التفاح وإنما يوجب أن تنصرف نفسه إلى أكل التفاح انصرافاً اختيارياً.

**ثانياً:** إن متعلّق إرادة الحق تعالى في الآية الكريمة هو إبعاد الرجس والذنب عن أهل البيتعليهم السلام لا منعهم عن إرتكابهم ووقوعهم فيه، وهل يبقى لشبهة الجبر محلّ؟ وهذا كما أشار إليه العلامة المرحوم آية الله العظمى الشيخ فاضل النكراني حيث قال: «بعد التأمّل في الآية نرى أن إعراب كلمة «لِيُذْهِبَ» هو مفعول به، وهي بذاتها جاءت في آيات أُخرى تارةً محلّاة بـ اللام، وتارةً بـ «أن»، على سبيل المثال، فقد جاءت في سورة التوبة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (التوبة: ۵۵)، وفي سورة نفسها: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ (التوبة: ۸۵)، وبالنظر في هاتين الآيتين يتبيّن أن اللام في الآية الأُولى ليست للغاية بل هي بمعنى «أن»، ولا ترديد في أن «أَنْ يُعَذِّبَهُمْ» في الآية الثانية هي مفعول به لفعل «يريد» على التأويل بالمصدر، أي: يريد عذابهم، ويستنبط في هذا المعنى اتحاد بين اللام وأن في هذه الأمثلة، وبالنتيجة هومفعول به لفعل «يُرِيدُ اللَّهُ»، (فاضل النكرانى، ۱۴۲۴ق: ۱۱۳)، ولا يخفى على القارء الكريم، وهذا نصّ عليه علماء العامة كابن عاشور. (۱۹۸۴ق: ۹۶/۴)

فبهذا البيان يتضح لنا بأن متعلق الإرادة في آية التطهير هو الإذهاب أي الإبعاد؛ يعني أن الله أبعد الرجس عن أهل البيت عليهم السلام بمعنى يجاد فاصل بينهم وبين المعاصي والأرجاس، إذن التدخّل الإلهي كان من هذه الزاوية فقط، وعلى هذا إرادة الباري لم تنعقد على عدم فعلهم الذنوب بل على إيجاد المسافة الفاصلة التي تنزّههم وتبعّدهم عن الذنوب، وهذا ألإبعاد لا يخلو من عناية ولطف إلهي اختصّ به هؤلاء عليهم السلام، ولكنه لا يعني بأي حال من الأحوال سلبهم الإرادة والإختيار وعدم صدور المعصية عنهم جبراً؛ بل أن الفصل بين الإنسان والذنب ليس جبراً وإنما هو توفيق، وهذا لا يلقّاه إلا ذوحظّ عظيم.

### ۴-۲. معنى الرجس

إن كلمة الرّجس التي جاءت في ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ عامّة شاملة لتمام أنواعه لا فقط ما ذهب إليه المغراوي، وذلك لما تفيده «ال» في «الرجس» من العموم والشمولية؛ إذن هي إما تكون للجنس، أوللإستغراق، لأنه لم يتقّدم ذكر أو إشارة إلى الرجس في الآيات السابقة لتكون «ال» حينئذ عهدية، فإذن تعني نفي الرّجس عن هؤلاء البررة نفياً عامّاً شاملاً لجميع مستويات الرجس، سواء على مستوى الإعتقاد، أو الأعمال والأخلاق والسلوك.

فكل رّجس وكلّ قذارة فقد أذهبها الله تعالى عنهم وأثبت مكانها الطهارة المؤكّدة، كما هو مدلول قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. ونصّ على هذا الفخر الرازي في تفسيره حيث قال في قوله تعالى ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ لطيفة، وهي: أن

الرجس قد يزول عيناً ولا يطهّر المحلّ، فقوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي يزيل عنكم الذنوب ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي يُلبسكم خُلَع الكرامة». (الرازى، ١٤٢٣ق: ٢٠٩/٢٥)

### ٤-٣. مفهوم «أَهْلَ الْبَيْتِ» ونقد نظرية الإشتراك

#### ٤-٣-١: «أهل البيت» لغةً

يتّضح من كلام اللغويين أنّ كلمة «أهل» تدلّ على نوع من العلاقة بين إنسان وآخر، أو إنسان وشيء آخر، فزوجة الرجل أهله، كما أن أقرب الناس إليه هم أهله، وأمّة كل نبيٍّ أهله. والذين يسكنون في بيت أو مدينة أو قرية هم أهل ذلك البيت وتلك المدينة والقرية. وأتباع كل دينٍ ومذهب هم أهل ذلك الدين والمذهب. ذووا علمٍ أو فنٍ هم أهل ذلك العلم والفن (ابن فارس، ١٣٩٩ق: ٩٣/١؛ الفيومى، ١٣٩٧ق: ٣٧/١؛ ابن منظور، ١٤١٤ق: ١٨٦/١) و«البيت» كما ورد من بَاتَ يَبِيتُ بَيْتُوتَةً وَمَبِيتًا فَهُو بَائِتٌ (الفيومى، ١٣٩٧ق: ٦٧/١)، أي محل السكونة والبيتوتة، وأهل البيت جمعاً كما نصّ عليه أهل الأختصاص: الأَصْلُ فِيهِ الْقَرَابَة. (المصدرنفسه).

#### ٤-٣-٢. أهل البيت إصطلاحاً

أهل البيت في الإصطلاح كما ورد في معاجم اللغة هم أقرباء الرجل، واستُخدم هذا المصطلح في آيات من القرآن الكريم، منها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب: ٣٣) ويمكن أن يقال بأن أهل البيت ليس كل أقرباء النبيﷺ بل من كان من سنخه في الإيمان والتقوى والطهارة من الرّجس، ولهذا إن إبن نوح كان يطلق عليه المصطلح اللغوي ولكن في منطق القرآن عبر عنه سبحانه وتعالى ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود: ٤٦)، فإذن أهل البيت النبيﷺ، في مصطلح القرآني ليس كل أقرباه وعائلته، بل من كان مطهراً من الرجس والدنس وكل قذارة.

#### ٤-٣-٣. «أهل البيت» مصداقاً

أولاً: أنّ الضمائر في الآية كلّها مذكرة أعني «عَنْكُمُ» و«يُطَهِّرَكُمْ» مع أنّ الضمائر في

الآيات المتقدّمة والمتأخرة كلّها جاءت على وجه التأنيث، وهذا دليل على أنّ الآية ناظرة على غير سياقها ولا مرتبطة بالآيات ما قبلها وما بعدها، وإليك صور الضمائر ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ﴾ (الأحزاب: ۲۸ - ۳۰) وغيرها من الضمائر المتقدمة على الآية.

وأما الضمائر المتأخرة عنها فهي ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ۳۴)، ولا يخفى أن الذي يؤكد خروج النساء من الآية وأن المعنّيون فيها ليسُ نساء النبيﷺ، هو أن الله سبحانه وتعالى أفرد لفظ «البيت» في الآية وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ۳۳) ولكنّه عبّر عن بيوت أزواجه بصيغة الجمع وقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ (الأحزاب: ۳۳)، وعلى هذا فهناك «بيت» معروف مشخّص أُضيف إليه «أهل» فأصبحت العبارة «أهل البيت»، وفي الوقت نفسه هناك بيوت لنسائه وأزواجه، فالمتواجد في البيت الأوّل، غير المتواجد في البيوت. (إنظر: ما قاله آية الله سبحانی ۱۴۳۴ق: ۱۸)

ثانياً: إن الروايات الواردة في هذا الباب عن النبيﷺ في تخصيص الآية بأهل البيتعليهم‌السلام تارة تصرح بأسمائهم كما عن أبي سعيد الخدري حيث قال: قال رسول اللهﷺ «نزلت هذه الآية في خمسة: فيّ وعلى رضي الله عنه والحسن والحسين وفاطمة رضي الله عنهما ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (الطبری، ۱۴۲۱ق: ۹/۲۲)، وتارة أدخلهم تحت الكساء، كما عن عائشة: «خرج النبي ذات غداة، وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ (صحيح مسلم، ۱۴۲۰ق: ۱۳۰/۷) وتارة يقف على باب فاطمة وعليعليه‌السلام وبمدة ستة أشهر يقرأ هذه الآية كما ورد في السنن والمسانيد (سنن الترمذی، ۱۴۲۱ق: ۳۵۲/۵؛ مسند احمد بن حنبل، ۱۴۱۶ق: ۲۸۵/۳؛ مسند أبی یعلی، ۱۴۰۴ق: ۲/۹؛ مسند حمید، ۱۴۲۳ق: ۳۴۸/۳)، وقد بلغ عدد الروايات الواردة في تخصيص أهل البيتعليهم‌السلام بالخمسة ما يصل إلى ۳۵ رواية، وقد أخرجها بعض المفسرين (الحاکم الحسکانی، ۱۳۹۳ق: ۱۱/۲؛ الطبری، ۱۴۲۱ق: ۹/۲۲؛ السیوطی، ۱۴۰۴ق: ۱۹۸/۵؛ الفخرالرازی،

١٤٢٣ق: ٨٥/٨)، ويتصل أسانيدها إلى ثمانية من صحابة النبيﷺ وهم ١. ابو سعيد الخدري، ٢. أنس بن مالك، ٣. إبن عباس، ٤. أبوهريرة الدوسي، ٥. سعد بن أبي وقاص، ٦.وآثلة بن ألاسقع، ٧. ابوالحمراء، هلال بن الحارث، عائشة وأُم سلمة.

ثالثاً: هذا الإختصاص ما نفهمه من النصوص ومن كلمات بعض أعلام أهل السنة من أنّ النبيﷺ حصرها بأشخاص معيّنين.

وهذا ما ذكره العلامة الطحاوي حيث قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ دعا رسول الله علياً وقال اللهم هؤلاء أهلي ... ففي هذا الحديث هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين...فدل ما روينا في هذه الآثار بأن أم سلمة مما ذكر فيها لم يرد به أنها كانت ممن أريد به مما بالآية المتلوة في هذا الباب... فقالت يا رسول الله أنا من أهل البيت في حديث، فقال أن لك عند الله خيراً، فوددت أنه قال نعم فكان أحب إلي مما تطلع عليه الشمس وتغرب... لأنا قد أحطنا علماً أن رسول الله جمع هؤلاء، إذن استحال أن يدخل معهم فيما أريدت سواهم.

ثم إن الطحاوي يقول: أخشى أن تقول أن بعض النصوص عبرت عن أم سلمة أنها من أهلي، وعبرت عن عائشة في حديث الإفك أنها من أهلي، يقول: ليس المراد «من أهلي» في هذه النصوص أهل البيت الوارد في الآية الكريمة، أخشى أن يخطر على ذهنك هذا المعنى ولهذا نقل هذه الرواية عن واثلة، قال: أتيت علياً فلم أجده فقالت فاطمة إنطلق إلى رسول الله يدعوه، قال: فجاء مع رسول الله فدخلا ودخلت معهما، فدعا رسول الله الحسن والحسين فأقعد كل واحد منهما على فخذه ... فقال: «اللهم هؤلاء أهلي أنهم أهل حق» ... فقلت يا رسول الله: وأنا من أهلك قال: وأنت من أهلي، قال واثلة: فإنها من أرجى ما أرجوه، وواثلة أبعد منه صلى الله عليه وآله وسلم من أم سلمة منه، لأنه إنما هورجل من بني ليث، ليس من قريش، وأم سلمة موضعها من قريش موضعها الذي هي فيه منه، فكان قوله لواثلة أنت من أهلي على معنى لاتباعك إياي وإيمانك بي فدخلت بذلك في جملتي، وقد وجدنا الله قد ذكر في كتابه ما يدل على هذا المعنى بقوله ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (هود: ٤٥) فأجابه في ذلك بأن قال له ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ

أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ (هود: ۴۶) وكلما جاز أن يخرجه من أهله جاز أن يُدخل في أهله من يوافقه في دينه وإن لم يكن من ذوي نسبه...فمثل ذلك أيضاً ما كان من رسول الله جواباً لأم سلمة أنت من أهلي يحتمل أن يكون على هذا المعنى أيضاً وأن يكون قوله لها ذلك كقوله لواثلة، (الطحاوی، ۱۴۱۵ق: ۲۳۵/۲) ونص على هذا ايضاً أبوالمحاسن يوسف بن موسى الحنفي(بلات: ۲۶۶/۲). إذن هولاء الأعلام فهموا أن (من أهلي) شيٌ و (أهل البيت) في آية التطهير شيء آخر ولا علاقة لأحدهما بالآخر.

وايضاً من الذين فهم من المحديث من أتباع مدرسة الخلفاء، أن الآية مختصة بأصحاب الكساء الخمسة دون غيرهم، هو الآجري، الذي قال الذهبي عنه: «لآجري الإمام المحدث القدوة الشيخ الحرم الشريف، صاحب التأليف وكان صدوقاً خيراً عابداً صاحب سنّة واتّباع. (الذهبی، ۱۴۲۷ق: ۱۳۳/۱۶)

فقال الآجري: «ذكرهم الله عز وجل في كتابه في غير موضع، وأمر نبيه أن يباهل بهم فقال جل ذكره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ۶۱) وقال محمد بن الحسين في ذيل قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، همّ الأربعة الذين حووا جميع الشرف وهم علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين. (۱۴۲۰ق: ۲۲۰۰/۵)

وأيضاً ممن صرّح بهذا الإختصاص من العلماء أبو منصور عبد الرحمن بن عساكر الشافعي حيث يقول: «نزلت هذه الآية في بيت أم سلمة... وخاصة في حق هؤلاء المذكورين فيها.» (۱۴۲۹ق: ۱۰۱-۱۰۲)

فتحصل مما ذكرنا أن مصداق أهل البيت عليهم السلام في هذه الآية همّ علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام وهذا المعنى كان في وقته أشهر من أن يذكر، بحث لو يدعي أحد خلاف ذلك لابّد أن ياتي بدليل.

### ٤-٣-٤. عرض ونقد نظرية الأشتراك

إن نظرية إشتراك النساء مع أصحاب الكساء كما يتبناها المغراوي وسلفه، أهم دليلهم على ذلك هو سياق الآيات، ورواية الضحّاك بن مزاحم.

يرد على ذلك نقضاً وحلاً:

**أما نقضاً:**

**أولاً:** إنّ بعض الآيات في القرآن الكريم لم يراع فيها السياق منها آية الإكمال ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**﴾ التي جاءت في وسط آية ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (المائدة: ٣)، أخرج الحسكاني وغيره بإسناده أنها نزلت في غدير خم حيث قال: عن أبي هريرة قال: «من صام يوم ثمانية عشر من ذي الحجة، كتب الله له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم؛ لما أخذ رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

فقال له عمر بن الخطاب: «بخ بخ يا إبن أبي طالب أصبحت مولاي ومولا كل مسلم»! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ (الحسكاني، ١٣٩٣ق: ١٥٦/١؛ إبن عساكر، ١٤١٥ق: ٦٩/٣) ولم يقل أحد بأن السياق هنا في بيان احكام الشريعة وهذا المقطع من الآية في ضمنها ولكن يقولون أنها نزلت في حجة الوداع بعد إبلاغ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم ينظروا الى السياق.

**ثانياً:** إن نظرية الإشتراك لم يكن لها أثر في صدر الإسلام في إمهات تفاسير المسلمين، كتفسير المجاهد(١٤١٠ق) وتفسير ثوري(١٤٠٣ق)، بل أُسست هذه النظرية من القرن الخامس وما بعد.

**ثالثاً:** إن السياق في هذه الآية لا يعيّن مدّعي الإشتراك بل يثبت خلاف ذلك، لأنه عندما تكلّم عن نساء النبي ﷺ قال: «بيوتك» وعندما تكلم عن هذا البيت المعيّن في هذه الآية قال «أهل البيت»، يعني بيت واحد، إذا كان كما يقول البعض ذكر الضمير لإدخال الرجال، لا لإخراج نساء النبي، الجواب: كان عليه أن يجمع البيوت لا أن يفرد البيت، ليجمع إلى بيوت نساء النبي بيت علي وفاطمة، ولكن نجد أن الآية خصت هؤلاء ببيت واحد.

**أما حلاً:**

**أولاً:** إن ما ذهب إليه المغراوي عكس ما يتبناه إستاذه إبن تيمية وما عليه السلفية، فيما لوتعارض ظاهر الآية أو سياقها مع سنة النبوي المتواترة حيث قال: «وأما السنة المتواترة التي لا تفسر ظاهر القرآن أو يقال تخالف ظاهره كالسنة في تقدير نصاب السرقة ورجم الزاني وغير ذلك، فمذهب جميع السلف العمل بها أيضاً إلا الخوارج فإن من قولهم أو قول بعضهم مخالفة السنة حيث قال أولهم للنبي في وجهه «إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله» ويحكى عنهم أنهم لا يتبعونه صلى الله عليه وآله إلا فيما بلغه عن الله من القرآن والسنة المفسرة للقرآن إما ظاهر القرآن إذا خالفه الرسول فلا يعملون إلا بظاهر القرآن ويتركون ما جاء في السنة، ولهذا كانوا مارقة مرقوا من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية(إبن تيمية، ١٤١٩ق: ٣١/٢)، فإذن فهمنا من ظاهر القرآن ومن سياقه شياً وقالت السنة الصحيحة الصرّيحة المتفق عليها شيئاً آخر، فالمقدّم سنة رسول الله ﷺ، ل قال الألباني «ومما سبق يبدو واضحاً أنه لا مجال لأحد مهما كان عالماً باللغة العربية وآدابها أن يفهم القرآن دون الإستعانة على ذلك بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القولية والفعلية»، بل في مكان آخر من هذه الرسالة يقول: «إذا ورد الأثر بطل النظر، ولكنه بالنسبة للسنة ليس صحيحاً لأن السنة حاكمة على كتاب الله ومبينة له.» (الألبانى، ١٤٠٤ق: ١٥و٢٢)

**ثانياً:** وهناك عديد من الروايات الصحيحة وردت في هذا الباب وهي مقدّمة على السياق في هذه الآية كما عن احمد بن حنبل حيث قال: «حدثنا محمد بن مصعب قال حدثنا الاوزاعي عن شداد أبي عمار قال: دخلت على واثلة بن الأسقع وعنده قوم فذكروا علياً فلما قاموا قال لي: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ قال: قلت بلى، قال: أتيت فاطمة رضي الله تعالى عنها أسألها عن علي قالت: توجه إلى رسول الله ﷺ، فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله، ومعه علي والحسن والحسين، أخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساءً ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق. (أحمد بن حنبل، ١٤١٦ق: ١٩٥/٢٨)

**ثالثاً**: إن الذين قالوا بنظرية الإشتراك، ثانياً رواية ضحاك

قلنا: أولاً إن راوية ضحاك خبر واحد ولا تستطيع المقابلة مع الأخبار المتواترة الصحيحة الواردة في ذيل هذه الآية، التي ذكرناها، بأن الآية نزلت في حق أهل الكساء دون غيرهم.

ثانياً: إن ضحّاك بصريح أعلام المسلمين لا يؤخذ بكلامه ولا يُعتنى به وقد ذكره من الضعفاء، وهذا ما نصّ عليه إبن جوزي حيث قال: «الضحاك مجروح» (١٣٨٦ق: ٢٧٧/٢)، وإيضاً قال عنه: «هذا حديث موضوع، والضحاك قد ضعّفوه» (المصدر نفسه، ٢٨٠/٣)، وهكذا الذهبي حيث قال فيه: «كان يضع الحديث» (٢٠٠٩م: ٣١١/١)، وإيضاً ذكره في كتابه الثاني حيث قال: «عن الطيالسي: حدثنا شعبة، سمعت عبد الملك بن ميسرة يقول: الضحاك لم يلق إبن عباس، إنما لقى سعيد بن جبير بالرى، فأخذ عنه التفسير، وسلم بن قتيبة، حدثنا شعبة، قال: قلت لمشاش: سمع الضحاك من إبن عباس؟ قال: ما رآه قط، وقال يحيى بن سعيد: الضحاك ضعيف عندنا.» (١٣٨٢ق: ٣٢٦/٢)

بل الأعجب من هذا هو أنّه يقرّ بأنه لم يمسع شياً من إبن عباس كما نقله المزي حيث قال: «عن عبد الملك بن ميسرة قلت للضحاك: سمعت من إبن عباس؟ قال: لا. قلت: فهذا الذي تحدثه عنه من اين أخذته؟ قال: عن ذا، وعن ذا.» (المزى، ١٤٠٠ق: ٢٩٤/١٣)

**رابعاً**: إن كانت هذه الآية الكريمة تشمل إي إنسان كان، هي شرف له ويفتخر بها وفضيلة له ويعلنها للناس عند مسيس الحاجة إليها، وهذا ما نجده في كثير من مواقف الخمسة من أهل البيت عليهم السلام، فما أكثر ما كانوا يعلنون نزول هذه الآية فيهم.

وأيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلن بمدة ستة أشهر كما أخرجه الحاكم النيسابوري بأنه كان يمرّ بباب فاطمة عليها السلام إذا خرج لصلاة الفجر يقول : «الصلاة يا أهل البيت»، ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» (الحاكم النيسابورى، ١٤١١ق: ١٧٢/٣) وايضاً احمد بن حنبل رواه. (١٤١٦ق: ٢٨٥/٣؛ ابى يعلى، ١٤٠٤ق: ٢/٩)

وأيضاً ورد عن الإمام أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب المسترشد «يا أيها الناس إعرفوا فضل من فضل الله، وإختاروا حيث إختار الله وإعلموا أن الله قد فضلنا أهل

البيت بمنّه حيث يقول: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فقد طهّرنا الله من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ومن كل دنية وكل رجاسة، فنحن على منهاج الحق ومن خالفنا فعلى منهاج الباطل، والله لئن خالفتم أهل بيت نبيكم لتخالفنّ الحق إنهم لا يدخلونكم في ردى ولا يخرجونكم من باب هدىً ولقد علمتم وعلم المستخفظون من أصحاب رسول ﷺ أني وأهل بيتي مطهّرون.» (الطبرى الإمامى، ١۴١۵ق: ۴۰۰/۱)

وعن الإمام الحسن عليه السلام في مجمع الزوائد الهيتمي حيث قال «خطب في الناس بعد ما طُعن في فخذه فيقول: «يا أهل العراق، أتقوا الله فينا، فإنا أمراؤكم وضيفناكم، ونحن أهل البيت الذين قال الله جل جلاله فينا ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فما زال يومئذ يتكلم حتى ما ترى في المسجد إلا باكياً قال الهيتمي راواه الطبراني ورجاله ثقات. (الهيتمى، ١۴١۴ق: ١١٩/٩)

ولكن لم نجد مثل هذا الإعلام لدى أية زوجة من أزواج النبي ﷺ ولم تدعّ واحدة منهن نزول آية التطهير فيها أو شمولها لها مع مسيس الحاجة ببعضهنّ إليها تصحيحاً لبعض مواقفها ألسياسية ومعارضة الخلافة القائمة آنذاك، بل على العكس من ذلك فقد اعترفت عائشة فيما تحدثت به من حديث الكساء، بعدم إذن رسول الله ﷺ لها بالدخول تحت الكساء وبقي مصراً على عدم مشاركتها مع هؤلاء الخمسة كما ورد عن عائشة عن الزرندي بإسناده عن مجمع قال: «دخلت مع أمي على عائشة فسألتها أمي، فقالت لها: أرأيت خروجك يوم الجمل؟ قالت: إنّه قد كان قدراً من الله سبحانه وتعالى. فسألتها عن علي فقالت: تسألينني عن أحب الناس الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بثوب عليهم، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً»، قالت: قلت يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: انك الى خير.» (الهيثمى، ١۴٢۵ق: ١٣٣)

**خامساً**: قد يُسأل ما هي مناسبة وضع هذه الآية ضمن آيات التي تتعلّق بأزواج النبي ﷺ؟

الجواب: قد أُجيب عنه بعدة وجوه، ونكتفي بوجه منها: إن التأمل في سياق الآيات الكريمة يلوح منه أن أزواج النبيّ ﷺ أو بعضهن كانت لا ترتضي ما في عيشتهنّ في بيت

النبيّ ﷺ من الضيق والضنك، فاشتكت إليه ذلك، وإقترحت عليه أن يسعدهن في الحياة بالتوسعة فيها وإيتائهنّ من زينتها، فأمر الله سبحانه نبيّه أن يخيّرهنّ بين أن يفارقنه ولهنّ ما يردن، وبين أن يبقين عنده ولهنّ ما هنّ عليه من الوضع الموجود، وبهذا المعنى جاءت النصوص الكثيرة الواردة بشأن نزول آيات التخيير كما نصّ على ذلك مسلم في صحيحه عن رسول الله ﷺ قال: «هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة» فقام أبوبكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقولان: تسألن رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليس عنده، ثم إعتزلهنّ شهراً أو تسعاً وعشرين، ثمّ نزلت عليه هذه الآية ﴿**أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا**﴾ (الأحزاب: ٢٨)، حتّى بلغ ﴿**لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (الأحزاب: ٢٩) (مسلم، ١٤٢٠ق: ١٨٧/٤)، وهذه التكاليف الموجّهة إليهنّ، وإن كانت مشتركة بين جميع المكلّفين إلاّ أنّها مؤكَّدة بالنسبة لهنّ، فيجب عليهنّ أن يبالغن في إمتثال أحكام الله تعالى وهذا كما أشار إليه الشيخ المظفر حيث قال: «إنما أمرهنّ ونهاهنّ وأدبهنّ إكراماً لأهل البيت، وتنزيهاً لهم عن أن تنالهم بسببهنّ وصمة، ولذا إستهلّ سبحانه الآيات بقوله: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ**﴾ (الأحزاب: ٣٢)، ضرورة هذا التميز إنما هو لإتصالهن بالنبي ﷺ فهنّ في محلّ وأهل البيت في محلٍّ آخر فليست الآية الكريمة إلا كقول القائل يا زوجة فلان لست كأزواج سائر الناس، فتعففّي وتسّري وأطيعي الله تعالى، إنما زوجك من بيت أطهار يريد الله حفظهم من الأدناس وصونهم من النقائص». (المظفر، ١٣٩٥ق: ٧٢/٢)

فكأنّ موقع آية التطهير للتدليل على أن أُسرة الرسول الأكرم ﷺ منقسمة إلى قسمين: قسم يُراد منه الإمتثال المؤكّد لأحكام الله تعالى، والتأدّب بالأخلاق والفضائل وهؤلاء هم الذين سماهم القرآن الكريم بـ«نساء النبيّ» ولم يضف حتى بيوتهنّ إلى الرسول الأكرم ﷺ بل أضافه إليهنّ في قوله تعالى ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ (الأحزاب: ٣٣)، وقسم آخر من أُسرة الرسول الكريم ﷺ إصطفاهم الله تعالى من كل رجس وطهرهم طهيراً وهؤلاء هم الذين ورد التعبير عنهم بـ«أهل البيت». ومن ثَمّ فقد جاءت آية التطهير بمثابة الجملة الإعراضية، لتبيّن الفوارق بين القسمين من أُسرة النبي الأعظم ﷺ لئلاّ يتوهم أحد أن جميع أفراد الأُسرة على نسيج واحد وشاكلة واحدة. (من أراد المزيد فعليه بكتاب العصمة لسيد كمال الحيدرى ١٤٢٠ق: ٢٨٤)

## النتيجة

إن ما يمكن تسجيله من النتائج التي توصل إليها ورصدها الباحث في هذه المقالة هي:

١. قد أثبت الباحث في هذه المقالة تدليس المغراوي في آية التطهير التي وردت في حق أهل البيت عليهم السلام بتعميمها وتضعيف وتكذيب الروايات التي وردت في خصوصهم عليهم السلام مما أجمعت عليه أعلام المفسرّين.

٢. أرصد الباحث بأن أُسلوب المغراوي في هذا التفسير الموسوم بـ«التدبر والبيان بصحيح السنن» هو كما نصّ عليه المغراوي بنفسه في مقدمة تفسيره إثبات ما عليه إبن تيمية، لا ما قاله الله ولا ما ورد بصحيح السنن عن النبي صلى الله عليه وآله. (المغراوى، ١۴٣۵ق: ١۵/١)

٣. توصل الباحث إلى أنّ المصداق الوحيد والفريد لآية التطهير كما أقر به أعلام المسلمين هم النبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، وهي من أبرز الآيات التي تدل على عصمتهم وتطهيرهم، وهي قد حصلت بما شاء الله أن يودع فيهم علم الأشياء وأن يفصل بينهم وبين الذنوب والمعاصي والرذائل ووساوس الشيطان بمساحة شاسعة وبما يدل عليها مفاد الذي جاءت به إرادة الحصر، وإطلاق كلمة «الرجس»، ومعنى تعلّق إرادة الحق تعالى بإذهاب الرجس وتأكيد الطهارة على صورة جملة ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

## المصادر


ـ القرآن الكريم.

١. إبن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، (١۴١٧ق)، *تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين*، المحقق: أسعد محمد الطيب، الرياض: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: ١.

٢. إبن تيمية، احمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تِيميّه حَرّانى حَنبَلى، (١٤١٩ق)، *عرش الرحمن وما ورد فيه من الآيات والأحاديث*، المملكة العربية السعودية: الأمانة العامة، ط: ١.

٣. إبن حنبل، أحمد بن حنبل، (١٤١٦ق)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، المحقق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: ١.

۴. إبن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (١٩٨۴ق)، *التحرير والتنوير*، تونس: الدارالتونسية للنشر، ط: ١.

۵. إبن عساكر علي بن الحسن بن هبة الله، (١۴١۵ق)، *تاريخ دمشق*، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، دارالفكر، ط: ١.

۶. ـــــــــــــــــــــــــــــ ، (١۴٢٩ق)، *الأربعين من مناقب أمهات المؤمنين*، تحقيق سعد عبد الغفار علي، القاهرة: دار أضواء السلف مصر، ط: ١.

٧. إبن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين، (١۴١۴ق)، *لسان العرب*، بيروت: دار صادر، ط: ٢.

٨. إبن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، (١٣٨۶ق)، *الموضوعات*، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط: ١.

٩. أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (١٣٩٩ق)، *معجم مقاييس اللغة*، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١.

١٠. ابو المظفر السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي، (١۴١٨ق)، *تفسير القرآن*، المحقق: ياسر بن إبراهيم أبو تيميم ـ غنيم بن عباس أبو بلال، دار الوطن للنشر، ط:١.

١١. أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي، (١۴٢٣ق)، *مسند عبد بن حميد*، تحقيق: الشيخ مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط: ٢.

۱۲. أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، (۱۴۰۴ق)، *مسند أبي يعلى*، المحقق: حسين سليم أسد، دمشق: دار المأمون للتراث، ط:۱.

۱۳. ابوالقاسم، الشريف المرتضى علي بن الحسين بن محمد، (۱۳۸۱ش)، *التلخيص في اصول الدين*، تحقيق: محمد رضا الانصاري القمي، مركز نشر دانشكاهي، ط:۱.

۱۴. الآجُري البغدادي، أبوبكر محمد بن الحسين بن عبد الله، (۱۴۲۰ق)، *الشريعة*، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، السعودية: الرياض، دار الوطن، ط:۱.

۱۵. الألباني، محمد ناصر الدين، (۱۴۰۴ق)، *منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن*، الدار السلفية، ط: ۱.

۱۶. الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، (۱۴۲۰ق)، تحقيق: محمد احمد الامد، دار إحياء التراث العربي، ط: ۱.

۱۷. الترمذي، محمد بن عيسى ابن سورة، (۱۴۲۱ق)، *الجامع الصحيح سنن الترمذي*، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: ۱.

۱۸. الحاكم الحسكاني، عبيدالله بن عبدالله بن احمد، (۱۳۹۳ق)، تحقيق: الشيخ محمد باقرالمحمودي، لبنان: بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط:۱.

۱۹. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني، (۱۴۱۱ق)، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط: ۱.

۲۰. الحيدري، السيد كمال، (۱۴۲۰ق)، *العصمة*، تحقيق: محمد القاضي، بلا نا، ط: .۵

۲۱. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، (۱۴۲۷ق)، *سير أعلام النبلاء*، القاهرة: دار الحديث، ط: ۱.

۲۲. الذهبي، شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، (۲۰۰۹م)، *المغني في الضعفاء*،المحقق: الدكتور نور الدين عتر، قطر: إدارة إحياء التراث، ط: ۱.

۲۳.ـــــــ ، ـــــــــــــ، (۱۳۸۲ق)، *ميزان الاعتدال في نقد الرجال*، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دارالمعرفة للطباعة والنشر، ط: ۱.

۲۴. الزرندى، محمد بن يوسف، (۱۴۲۵ق)، محقق:عاشور، على، لبنان، بيروت: دارإحياء التراث العربي، ط: ۱.

٢٥. السبحاني، جعفر، *آية التطهير*، (١٤٣٤ق)، مقيات الحج، ط: ١.

٢٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين، (١٤١٦ق)، *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: سعيد المندوب، لبنان: دار الفكر، ط: ١.

٢٧. ـــــــ، ـــــــــــ، (١٤٠٤ق)، *الدر المنثور*، دار الفكر، ط:١.

٢٨. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، (١٤٣١ق)، *فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير*، الأوقاف السعودية، ط: ١.

٢٩. الطبري، ابن جرير، (١٤١٥ق)، *المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب*، محقق: محمودى، احمد، ايران، قم: كوشانپور، ط: ١.

٣٠. الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢١ق)، *جامع البيان عن تأويل آية القران*،تحقيق: محمود شاطر، دار احياء التراث العربي، ط:١.

٣١. الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري، (١٤١٥ق)، *شرح مشكل الآثار*، المحقق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١.

٣٢. الطريحى، فخر الدين، مجمع البحرين، مكتبة المرتضوية، ط:١.

٣٣. العروسى الحويزى، عبد على بن جمعة، (١٤١٥ق)، *تفسير نور الثقلين*، محقق: رسولى محلاتى، سيد هاشم، قم: اسماعيليان، ط: ۴.

٣٤. الفخر الرازي، فخر الدين ابن ضياء الدين، (١٤٢٣ق)، تحيقق: الشيخ خليل محي الدين الميسي، دار الفكر، ط: ١.

٣٥. الفراهيدي، أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمروبن تميم، (١٤٢٤ق)، *العين*، المحقق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط: ١.

٣٦. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (١٣٩٧ق)، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، بيروت: المكتبة العلمية، ط: ٢.

٣٧. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، (١٤١٨ق)، *محاسن التأويل*، المحقق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلميه، ط: ١.

٣٨. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبوالحجاج جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي، (١٤٠٠ق)، *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، المحقق: د. بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط: ١.

۳۹. مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (۱۴۲۰ق)، *صحيح مسلم*، دار احياء التراث العربي، ط:۲.
۴۰. المشكيني، علي، (۱۴۱۳ق)، *الاصطلاحات الاصول*، ای‌ران، قم، ط۵.
۴۱. المظفّر، محمد حسن، (۱۳۹۵ق)، قم، مكتبة بصيرتي، ط ۱.
۴۲. المغراوي، محمد بن عبدالرحمن، (۱۴۳۵ق)، *التّدبُر والبيان في تفسير القرآن بصحيح السنن*، لبنان، بيروت، ط ۱.
۴۳. اللنكراني الإشراقي، محمد، شهاب الدين، (۱۴۲۴ق)،آية التطهير، تحقيق و نشر: مركز فقه الأئمة الأطهار علیهم‌السلام، قم: اعتماد.
۴۴. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، (۱۴۱۴ق)، *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*، المحقق: حسام الدين القدسي، القاهرة: مكتبة القدسي.
۴۵. الواحدي، علي بن أحمد الواحدي، (۱٤۱۱ق)، *أسباب نزول القرآن*، المحقق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.